مأوى البرص في اليابان

ممرّبة بقلم حضرة الخوري اسطفان البشلاني

قد رأيت اليوم في مجلة « The Ave Maria » الانكليزية مقالة بهذا العنوان فذكّرتني نبذة لمدير المشرق الاغر في سنته الخامسة وصف فيها عناية الكنيسة الكاثوليكية من قبل ومن بعد بامر البُرص ردًّا على بعض الجرائد التي زعمت الخلاف بما ردأ الشُبه وكشف النقاب عن محيّا الحقيقة فاحببتُ نقلها الى العربيّة كبرهان جديد يثبت ذلك الردّ عساها تصادف لدى القراء استحسانًا خصوصًا وان الحرب اليوم متسعرة النيران بين الروسية واليابان وهي :

قد أُنشئ مأوى البرص في كوتجبا احدى مدن اليابان سنة ١٨٨٧ وكان الاتفاق عليهِ موكول لاول عهدهِ الى فضل المحسنين من عموم الشعب وفيه اذ ذاك زهاء ثلاثمائة ممّن نزل بهم هذا المرض الكريه فافرزهم عن مخالطة اخوانهم قد لجأوا الى ذلك المأوى المنيع

ولليابان عادة كقاعدة مضطردة وهي تمتّع البرص بحريّة لا تسوغ لهم في غير جهة من جهات الدنيا فلا يحجر عليهم ولا يحكم بابعادهم. وتهيهم بل يؤذن لهم في ان يعيشوا معًا في المستعمرات وكثيرًا ما يظهرون في الطرق والشوارع على مرأى من الناس وهم مبتهجون مسرورون. ولا يخفى انّ هذا الداء لا يمس العقل ولا تصيب بثورهُ الدماغ فترى الابرص على احسن حال من الفهم والانتباه حتى اخر درجة من درجات المرض الذي تقتصر مساوئهُ غالبًا على تشويه الجسم فلا يُعدّ بالخصوص من الامراض الشديدة

وانجع دواء عُرف لهذا العهد في معالجة هذا الداء انمّا هو « زيت الشولموكرا » يُحقن بهِ جلد المصاب فهو وان كان لا يقتل ميكروب المرض من انجع الوسائط لتخفيف مفعوله وابطاء سيرهِ وقد يزيلهُ احيانًا الى اجل مديد على انّ هذا المرض ما برح معدودًا من الامراض العضالة وما فتئ مخيفًا لا يرجى من الناس ان لا يستنكفوا منهُ ويكرهوا مخالطة من أُصيب بهِ

غير انهُ لمّا كانت هذه الفئة من مخلوقات الله فالانسانية تقتضي مساعدتها والعناية

بتخفيف ويلاتها حتى يتم لها بعض الراحة والهناء. فاذا كانت الانسانية قد اتخذت هذا الواجب فأحر بالمحبة المسيحية التي هي الكمال ان تقتضي واجباً اهم واسمى

تلك غاية مأوى البرص في كوتمبا التي هي على مسافة ثلاثين فرسخاً من توكيو في بقعة من احسن بقع تلك البلاد المشهورة بحسن مناظرها وجمالها الطبيعي والمأوى يبعد عنها مسيرة ساعتين في طريق رحب اذا سرت فيه كنت بين صفين من اشجار الارز الغياء يستقبلك النسيم الذي يجلب العافية باعتلاله وعلى مسافة قليلة جبال فيجي وقد شمخت في الجو عظمة وكبراً فكانها اشباح مهولة كثيراً ما يتخيلها المصورون والشعراء ثم يظهر لك على طرف اجمة صغيرة جسر من الحجر السماقي وقد يرى من تحته السيل فيقلك الى المأوى وانت تطرب بخرير المياه

اما كلمة مأوى فانها تسمي اليابانيين التي تذوب لفتهم رقة ولطفاً فهم يسمونه « فوكو - مي - يوبو - اين » وهي منحوتة من اربعة الفاظ صينية معناها مستشفى تستعاد فيه الحياة وهو لعمري اسم يبعث في القلب شجاعة ويحيي ميت الرجاء. والمأوى يظهر للرائي عن كثب كقرية صغيرة كانها رقعة حمراء في ديباجة خضراء ولكن اذا تقدمت قليلاً حدث تحول غريب كأن رائحة الحامض الكربونيك اختلطت برائحة الخشب الراتينجي التي تبنى منه البيوت ثم اضيف اليه ثقل الهواء وما ادراك ما هو هواء البرص الذي اذا استنشقت منه نسمة لم تفارقك ابداً

فاذا جاز الزائر الجسر السماقي شعر كأنه يطأ ارضاً جديدة لا عهد له بها فلا يسمع في ذلك السكوت العجيب غير تهويم النسيم وخرير الغدير في مكان ليس احسن منه لتجديد العقل وراحة النفس. اما مباني المأوى فانها من الاحكام والترتيب بحيث تقوم بكل ما وضعت له وقد برز من بينها بناية شامخة هي الكنيسة وفي احدى جوانبها مغارة سيدة لورد عليها السلام في صدرها صورة الأم المباركة وهي تبتسم في وجه اولادها المنكوبين

اما داخل المأوى فقد جعل على الطريقة اليابانية بحيث يلائم حالة السكان اتم ملاءمة وقد أفرد لكل مريض غرفة خاصة مفروشة باثاث غاية في البساطة والنظافة بحسب الذوق الياباني. فاذا ازف وقت الطعام جلس البرص على اعقابهم الى مائدة قامت على رجل واحدة بطول ثمانية قراريط في وسط الغرفة ولكل منهم في المائدة خزانة يحفظ فيها

سكينهُ وشوكتهُ وما اشبه ثم يذهب الاشدّاء منهم لاحضار الطعام من المطبخ وهكذا فان كلًّا من هؤلاء المساكين يسعف رفيقهُ بمنتهى الرقة واللطف وتكل منهم حمّام يغتسل بهِ قبل النوم

ولا جرم انهُ اذا لم يكن للبرص عمل يلتهون بهِ عن مرضهم ويصرفون ذهنهم عن الافتكار بهِ كانت حالتهم اشقى الحالات ونكبتهم اشدَّ النكبات ولذلك تراهم ابدًا مشتغلين فمنهم النجّار والبنّاء والنحّاس والخيّاط والبستاني فيشتغلون ما امكنهم . امّا النساء فانهم يستخرجونهُ بطلبة يعمل فيها ثلاثة منهم دائمًا . والنساء منهم يُعنين بامر الطبخ والخياطة وتربية الاطفال

امّا في ايّام الاعياد والايّام المطرة وفي كل مساء لا يكون لهم فيهِ عمل فانهم يلعبون بالشطرنج وغيره من الالعاب وهم شديدو الولع بمطارحة الاحجية والالغاز واقامة الروايات التي يمثلونها بانفسهم . ولهم كلف بالفانوس السحري الذي هو بمثابة سياحة لليابانيّ يطوف بها حول الارض ويرى كلّ ما تلذ رؤيتهُ ويسهل لهُ ذلك ما في بلاده من الصور المفيدة والرسوم البديعة لكل ما تحت الشمس . وليس لشهي من مشهد البرص في ايّان محاوراتهم ومجتمعاتهم العلميّة التي يُشغفون بها شغفًا عظيمًا

ويحسب على هؤلاء التعساء التنقل من مكان الى آخر لانّ الواحد يقدر على المشي ولكنهُ اعمى والآخر يقدر على النظر ولكنهُ لا يستطيع تحريك ساقيه ولذلك فانهم يحملون بعضهم البعض على ظهورهم والابهج انك لا تستطيع سبيلًا الى تضليلهم عن طلب اولادهم قرة عين اليابانيّ فعواطفه تشبه بعواطف اشهر المصوّرين الذين يقولون : ان كان في عالم الحزن ووادي الدموع بقيّة من الفردوس الارضي فما هي الّا وجود الاولاد فيهِ . هذا الى غير ذلك من المسامرات التي يلهو بها اولئك البرص في سهرهم . ثم لا يلبث ان يمرّ اله النوم بين صفوف ذلك المجتمع فيرمي حصاه في اعيني فتاة يتيمة لا تتجاوز الخمسة من عمرها فيتسابق اليها النساء ثم تحملها واحدة منهن الى فراشها وهكذا حتى يأتي اله النوم على جميع الحضور . غير انهُ قبل انصرافك يتقدّم اليك اربعة من اشدّائهم ويقدمون لك عبارات الشكر على تلطّفك بزيارتهم سائلينك صفحًا عمّا رايت من قصورهم وخطاياهم بأن يعفّروا الارض بجباههم كما هي العادة عندهم

وقد نشأ هذا المأوى من لا شيء كغيرهِ من بيوت الخير وذلك انهُ كان في اليابان

سنة ١٨٨٧ مرسل فاضل من جمعية الرسالات الاجنبية في باريس مشهور بالغيرة والتقوى الاب نستفويد فهذا شرع يبذل منتهى العناية والهمّة حتى تيسر له انشاء محلّ صغير ننقل اليه من اقيه من البرص . ثم نادى باهل الخير واستحث شفقة ذوي الاحسان فكان ما كان من ثمار هذا المشروع ونتائجه الحاضرة . الّا ان ذلك لم يتم كلُّهُ في حياة هذا المؤسس بل في ايّام الاب فيكرو والاب برتراند مدير المأوى الحالي وهو يبذل النفقات الجزيلة التي تتوارد عليه يوماً فيوماً بفضل الله وعنايته من اوربة واوسترالية واميركة وغيرها من الاماكن التي بقيت فيها الانسانية والمحبة المسيحية على سلامتها لم يعترهما فتور

ولا يخفى ان الكنيسة عند ما كانت قديماً تعهد بحكم الضرورة الى ابعاد البرص كانت تتمم هذا الواجب بصورة تميّزها من غيرها وتدل على شدّة حنانها ورأفتها بنيها المنكودين وفي كتاب رُتّبها رتبة خاصّة بابعاد الابرص هاك بعض فقرات ممّا ينصحهُ به الكاهن :

« انك انت يا ابني من فقراء الله الذي اذا احتمل المرء في شأنه المرض والوجع وكل مصيبة وبلية في عالم الاكدار بلغ الى الفردوس السماوي حيث لا وجع ولا مرض بل يكون تقيّاً ويلمع ضياء اكثر من الشمس هذا اذا رضي الله عزّ وجلّ . فكن انت يا ابني مسيحيّاً حقيقيّاً واحتمل هذه المصيبة بصبر والله يوتيك بعدها لسبغ النعم وهذا الانفصال ليس الّا انفصالاً جسدياً امّا من حيث الروح التي هي الشيء الجوهري فانما انت على ما كنت من الاشتراك بخيرات امك الكنيسة المقدسة اذا ما حضرت بذاتك الذبيحة الالهية كل صباح مع رفقائك . واما حاجاتك القليلة فلك من سخاء الشعب ما يقوم بها لان الله لا يهملك . فقط احرص على ان تكون صبوراً والله يستر معك الى الابد » . ثم يختم هذه العظة المؤثرة بالدعاء الاتي :

« ايها الرب القدير الذي سخت بصبر ابنك الوحيد كبرياء العدوّ القديم هب عبدك هذا صبراً لائقاً لكي يحتمل بتقوى وورع الامراض التي حلّت به »

فيجيب الشعب كلهُ : آمين

ولا جرم ان نجاحاً باهراً تنالهُ مثل هذه الاعمال انما هو نتيجة تضحية الذات والتفاني في سبيل هذه الضروريات . وبمثل هاتين الصفتين كان يتحلّى من لدن هذا المأوى

ومديره الحالي. ولعمري ان هذا الرجل الذي يتعاهد امور المأوى ويتفقّد جليلها وقليلها بذاته جدير بحجة هؤلاء المساكين الذين وقف النفس على خدمتهم

واذا بلغ هذا الداء الشنيع باحدهم الى حدّ ان يتكرّه منهُ رفاقهُ كان هذا المدير الغيور هو الذي يدبّر جسمهُ الذي لم يبقَ منهُ محلّ صحيح. وهو لعمري اوفق للنفس التي تحتاج اليهِ في كثير من الظروف التماسًا لتعزياتهِ وصلواتهِ سيّما عند الاحتضار وعلى الجملة فانّ هذا الاب الحكيم لم يجعل هذا الملجأ المرّ مكان سرور وسلام بوفرة القوانين وسن النظامات المديدة بل لانهُ روح لطيف يحرك هذا العمل الخطير برمتهِ ويديره ويرشده ويقف على كلّ ما يجري فيه

والذي يُذكر انّ المعاهد العمومية التي انشئت بعد ذلك في اليابان كانت نظاماتها تؤخذ عن مأوى كوتمبا كما يظهر من كلام بعض المرسلين قال: «اذا عمد احد الى تأسيس مستشفى او معهد خيري ابتدأ على مثال مأوى كوتمبا في تعيين الاشخاص فيسمي المدير ثاني المدير فالطبيب فمعاون الطبيب فالممرّضين والممرضات فالخدَم فالحرّاس. حتى اذا تمّ هذا النظام واقرنت رواتب هؤلاء الاشخاص عُيّن للمرضى ما يبقى من المداخيل وقد يقلّ عددهم ولكن النظام يبقى مرعيًا أتم الرعاية»

وقد اهتمّت حكومة اليابان لهذه المشروعات الجليلة المفيدة وبعد ان ازالت امتيازات الاجانب في بلادها وادخلتهم في حقوق رعاياها طلب متولّو مأوى البرص في كتمبا من الحكومة اليابانيّة ان تعرفهُ رسميًا ليصير ما يُوقف عليهِ من العقار جاريًا على ملكهِ. فارسلت الحكومة من قبلها معتمدين لاجراء الفحص اللازم في مثل هذه الاحوال فقابلهم مدير المأوى بما يليق بهم من الاعتبار وبعد عبارات الولاء والمجاملات سألوه ما يلي:

— ما هي مالتك؟

— ليس لي مالية مقرّرة بل اتوقّعها من العناية الالهية

— كم كانت جملة نفقاتك في السنة الماضية؟

— هاكم حساباتي وبهذا المبلغ اصلحت المأوى ودفعت رواتب المستخدمين وقت عماش واحد وسبعين شخصًا

— هذا مستحيل. فكم تدفع راتب المدير؟

— لا ادفع شيئاً لاني انا المدير

— واين مركز ادارة الاشغال ؟

— في غرفتي

— واين المرضون ؟

— لا مرضين لي لانني انا المرض الوجيد والاشدّاء من البرص يسعفوني في تمريض الاخرين

— واين المستخدمون؟

— عندي ثلاثة : طبيب يأتي مرة كل اسبوع وعند ما استدعيه . ورجل معاون في دخول المرضى واقتبال الزائرين . وكتابة المكاتيب في اليابانية ويُعنى مع شيخ البلد باشغالنا الخارجية . وخادم يهتم بالطبخ ومشترى الاغراض من الخارج والبرص هم الذين يتعاطون الزراعة ورعاية المواشي والاهتمام بالبقر والخيل فتكون المؤونة الّا القليل منها من محصولات الزراعة وهذا كل ما انفقهُ

فعندها دهش المعتمدون من ذلك حتّى انهم لم يبأوا بالشرائع التي تمنع الاجانب من حقوق الاستملاك بل منحوا المأوى المذكور حقاً لبيع وابتاع

ومن المعلوم انهُ اذا مسّت الحاجة الى الشجاعة هَبَّ الابطال البواسل واخذ كلٌّ مركزه في الجيش ألا وهو الجيش العظيم الذي يُعنى بامر البائس والمريض . وقد نشأ وتأصّل في حضن الكنيسة الكاثوليكية . فانَّ النداء الشديد من اليابان الى جزائر هوايا ومنها الى شواطئ لويزيانا قد لاقى اذناً صاغية فهبَّ الكهنة والراهبات من الكاثوليك نابذين ظهريًا كلَّ ما هو عزيز على الارض واخذوا يعملون لخير هؤلاء المنفيين التعساء وسعادتهم الزمنية والروحية فخدموا كبيد اولئك الذين كان يُرمى لهم القوت قديمًا في بعض البلاد كما يُرمى للكلاب والذين يُحرقون في بلاد الصين احياء .

وقد افتتحت هذه المجلة الانكليزيّة (وهي التي نقلنا عنها) اكتتاباً لاعانتهم فاسعفت منهم من أمكنها . وما عمَّ ان ورد مديرها رسالة من رئيسة احد بيوت البرص في لويزيانا تنشرها عسى ان تكون مدعاة لاثارة خواطر ذوي الرحمة والاحسان وهي :

ابتِ العزيز المحترم

« وضعتُ عطيتك اللطيفة بين يدي البرص وقدرها خمسون دولارًا فتاكد انهم

قدّروها حقّ قدرها وتكرّم بشكر الكريم المحسن بها فبواسطتها يتهيّأ لنا قضاء كثير من حاجات هؤلاء النساء حتّى يقضوا ايّام منفاهم المرّة براحة وسلام

« وليس الداء الذي ضُرب به هؤلاء الساكين هو الذي ينغّص عيشهم بل فراقهم لاهلهم وانسبائهم الذين كانوا يقاسمونهم رغد العيش وطيب الحياة العائلية ويأسهم من الاجتماع بهم في هذه الدنيا . غير ان خضوع هؤلاء الاقوام ووطيد ايمانهم المسيحي من اعظم الوسائط التي تنشطهم على احتمال الشدائد والآلام لاسيّما وقت العمليّات الطبيّة . هذا وفيما انني اشترك مع المتكوبين بالدعاء الحارّ الى العزّة الالهية ليبطل على عملك الخيري اسبغ البركات اسألك قبول احترامات خادمتك

الاخت بناديكتا

مطبوعات شرقية جديدة

A History of Classical Scholarship from the sixth century B. C. to the end of the Middle Ages, by J. E. Sandys, *Cambridge, at the University Press*, 1903, XXIV-672, 8°

تاريخ التعليم المدرسي من القرن السادس قبل المسيح الى اخر القرون المتوسطة

انّ مؤلف هذا الكتاب يفتتح تأليفهُ بتعريف التآليف الادبية المدرسية ثمّ يقسم كلامهُ الى ستّة اقسام يبحث في (الاوّل) عن التعليم في الطور المعروف بالاثيني . ثم عن تعليم الطور الاسكندراني . ثمّ الطور الروماني وفي الآداب اللاتينية . ثمّ الطور الروماني وفي الاداب اليونانية . ثمّ الطور البوزنطي وينتهي اخيرًا بالازمنة المتوسطة في المغرب فيكون مجمل ما تشملهُ هذه الابحاث من تاريخ الآداب عشرين قرنًا من القرن السادس قبل المسيح الى السنة ١٣٥٠ بعدهُ . وهو لعمري مجال واسع الّا انّ المؤلف حصر فوائد جمّة في حجم صغير . وانشاء هذا الكتاب سهل واضح يشوّق القارئ في مطالعتهِ . ومن محاسنهِ ثلاثةُ فهارس اوّلها للكتب الموصوفة والثاني للموادّ العام والثالث للالفاظ اليونانية التي يجبُ الدارس والعالم الاطلاع عليها . هذا فضلًا عمّا فيهِ من التصاوير والجداول التاريخية ممّا يزيدهُ نفعًا ومجمل القول انّ هذا التأليف احسن